# صحة الفرد وصحة المجتمع

بقلم : عبد الله عبد السلام

تاريخ العلم هو تاريخ تغلب الانسان على المصير والقدر . هو تاريخ انعتاق الفرد من إسار العوامل الخارجية التي تحول بينه وبين كامل تفتحه وانطلاقه بعد هذا الانعتاق شطر حريته التي هي كنه وجوده. هو تلك المحاولة الجريئة التي تبغي إنقاذ الفرد من عبودية الطبيعة والبيئة والظروف الاجتماعية السيئة، ليكون في نهاية الأمر « من هو » ، ان اردنا ان نتبنى ، تعبير نيتشه ، اي ليصل الى كل ما يرجى منه من فيض ونتاج . انه ، في اعماقه ، انتصار الروح على المادة ، انتصار الحي على الجامد الساكن، انتصار العقل على الفوضى والاضطراب واللامعقول.

فالعلم يبغي قبل كل شيء تحرير الانسان من كل جمود وخضوع ، وزحزحة العقبات من طريقه ليكون فعلاً ذلك الكائن السيال المتحرك المنطلق ... فهو كما عبر عن ذلك بيكون « قوه » في يد الانسان ، بها يذلل ما يقف دون ازدهاره ...

لقد كانت الطبيعة والبيئة والظروف الاجتماعية الفاسدة ، حتى عهد ليس ببعيد ، تضحك من الانسان حين كانت تخيفه وترعبه وتنقض عليه وتحيط به احاطة السوار بالمعصم ، مضيقة بل قاتلة . وكان الجامد يضحك من الحي، وكان الحي يصطنع مضطراً لباس الجمود والسكون ، ويخلع لباس المرونة واللين. كان الانسان إزاء الظروف الخارجية، أشبه بشخص يتدحرج من فوق سلّم : وأي منظر اشد إثارة للضحك والسخرية من منظر كائن حيّ يفلت منه زمامه ويتغلب عليه كائن جامد ؟

بل كان الانسان ، في ذلك العهد السابق على سيطرة العلم، يعتقد ان مثل هذا التضاؤل امام القوى الخارجية امر طبيعي لا مفر منه ، وان قدر الانسان ومصيره هما هذه الحياة وسط ظروف سيئة معاندة لا مجال الى النجاة منها .

وعندما جاء العلم الحديث تحرر الانسان من مثل هذا الوهم بعض الشيء ، ورأى بأم عينه غلبة العلم للطبيعة ومظاهرها، وتذليله صعبها وكؤودها .. غير انه ما يزال حتى اليوم ، وفي بعض المجتمعات المتأخرة خاصة ، ضعيف الثقة بامكان تغلبه على العوامل الاخرى التي تحد من حريته وانطلاقه وسيطرته . نعني بتلك العوامل الاخرى العوامل الاجتماعية ..

فهو في كثير من المجتمعات المتأخرة ما يزال يعتقد ان الفقر مصير محتوم ، وان الجهل قدر لا مفر منه، وان الشذوذ والمرض اشياء طبيعية ، وان الفوضى الاجتماعية هي قانون الحياة الاجتماعية. لقد انتزع هذا الانسان من نفسه اعتقاده بقوى سحرية تسير الطبيعة الجامدة، وأدرك ان مظاهر الطبيعة تسير وفق قوانين ثابتة معقولة لا تتخلف عنها. غير انه لم ينتزع حتى الآن إيمانه بوجود قوى سحرية عجيبة تتحكم في النظم الاجتماعية، وهو ما يزال يعتقد الى حد كبير ان الحياة الاجتماعية هي عالم اللامعقول، عالم اللاتقيد، أي انها تسير وفق الاهواء والصدف، دون ان تخضع لقوانين وقواعد ثابتة ، ودون ان تكون للانسان إرادة في تسييرها .

ولعل سبب قلق الانسان واضطرابه يظل اليوم، في كثير من المجتمعات ، كما كان ايام « أغوست كونت » ، نعني انه ذلك الفراق بين اسلوب التفكير في الامور الاجتماعية واسلوب التفكير في ظواهر الطبيعة . فالانسان عندما يفكر في هذه الاخيرة يفكر فيها تفكيراً موضوعياً علمياً ، اي يعدها خاضعة لقوانين نستطيع السيطرة عليها ، بينما هو حين يفكر في الامور الاجتماعية يفكر فيها غالباً تفكيراً سحرياً غير علمي وغير منطقي ، ويحشد فيها كل ما هو وليد الهوى والصدفة واللامعقول ! أفلا نجد مشقة حتى اليوم ، في ان نقنع بعض الناس عندنا بان النظام الاجتماعي الفاسد الذي نعرفه نظام غير طبيعي ؟ أفلا يظن هؤلاء أن النظام الفاسد هو وحده الطبيعي، وأن الظلم والفوضى والاضطراب من شيم الحياة الاجتماعية ؟

لقد كان الناس في اوروبا حتى عهد قريب ، يعدون الانسان الأصم الابكم مطروداً

**« تقرر المجتمعات الحديثة ان ما يعني به الانسان من ضعف وقصور وسوء حال، هو غالباً نتيجة التنظيم الاجتماعي الفاسد ، نتيجة الاستسلام للمجتمع بدلاً من التغلب عليه وفهمه وصياغته صياغة علمية منسقة . انها تقرر ان صحة الفرد وليدة صحة المجتمع ونظامه » .**

من رحمة الله لا مجال الى شفائه ، بل يجب اقصاؤه . ثم جاء الراهب « دوليبي » De l'Epée ومن تبعه ، فبينوا ان هذا الانسان ليس كائناً محبوساً ضمن جدران الصمت ، لا مجال الى ان ننقله الى عالم الناطقين ، واظهروا ان في وسعنا اذا ما اتبعنا وسائل خاصة في تعليمه ان نجعله قادراً على ان يفعل ما يريد ويساهم في حياتنا نحن الناطقين. وهكذا انشئت مدارس الصم البكم ، وهكذا وجد بين هؤلاء الصم البكم عبقرية كـ«هيلين كيلر» كانت صماء وبكماء وعمياء ولكنها استطاعت مع ذلك ان تكتب مؤلفات عديدة، وان تصبح من شهيرات النساء في مجال علم النفس .

وكانوا حتى عهد قريب يائسين من اصلاح حال العمي ، ولكنهم ما لبثوا حتى أوجدوا لهم طرقاً خاصة لتعليمهم ، وأنقذوهم من إسار وضعهم الشاذ .

وكانوا يظنون مرضى العقول والنفوس اناساً محكوماً عليهم بان يجروا اذيال حياة هوجاء لا صحو فيها ولا نجاة منها ، ولكنهم ما لبثوا حتى أوجدوا الطرق الناجعة لشفائهم من اوصابهم .

وكانوا يعتبرون الاجرام شراً لا بد منه، والمجرمين اناساً يولدون كذلك ولا يجدي معهم غير الزجر والاقصاء . ثم ادركوا ان لكثير من الجرائم اسبابها الاجتماعية والنفسية ، وان اتقاء الجريمة يكون باتقاء هذه الاسباب ، وان اصلاح المجرم يكون بالقضاء على جذور هذه الاسباب لديه .

وما نريد ان نحصي الامثلة الكثيرة التي تؤكد هذه الحقيقة الاساسية ، وهي ان عالم الحياة الاجتماعية، عالم الانسان في صلاته مع مجتمعه ، اخذ يدخل يوماً بعد يوم في فردوس البحث العلمي ويخلع عنه إهاب الاستسلام والخنوع . وكل ما نريد ان نقوله هو ان المجتمعات الحديثة اليوم تنزع شيئاً بعد شيء الى تقرير هذه الموضوعة الاولية في البحث : نعني القول: بان لا شيء من لا شيء ex nihilo nihil على حد تعبير المثل اللاتيني ، وان عالم الحياة الاجتماعية ينبغي ان يخضع لتشريح العقل والعلم ، وان تنظيم هذه الحياة ينبغي ان يستهدي روح العلم الجريئة التي لا يستعصي عليها شيء . ان هذه المجتمعات الحديثة تريد ان تخلص الانسان من الصدفة والهوى والطوارىء، وان تنضو عن حياته الاجتماعية إهاب المجهول، إهاب عدم الطمأنينة ، كما نضت عن ظواهر الطبيعة المحيطة به إهاب هذا المجهول . انها تريد ان تضعه في عالم يعرفه ولا يخافه ، لا في عالم مليء بالمجاهل والمجاهيل ، في عالم اشبه بالعماء والسديم.

وهكذا تقرر هذه المجتمعات الحديثة أن ما يعنى به الانسان من ضعف وتصور وسوء حال ، هو غالباً نتيجة التنظيم الاجتماعي الفاسد ، نتيجة الاستسلام للمجتمع بدلاً من التغلب عليه وفهمه وصياغته صياغة علمية منسقة . إنها تقرر ان صحة الفرد وليد صحة المجتمع ونظامه .

وقد لا ندرك للوهلة الاولى ما في هذا القول من غنى وطاقات ، وقد يخيل الينا انه من الاقوال المكرورة المعادة. غير أننا نعتقد أن الايمان به نقطة انطلاق أساسية في تفكيرنا الاجتماعي ، وان البدء به بدء بحركة حية جبارة . فهو قلب لذلك المفهوم الذي ما يزال يراود كثيراً من النفوس ، والذي يقرر ان صحة المجتمع وليدة صحة افراده ، وأن المسئول عن سوء الاخلاق وسوء الأوضاع هم الافراد وأخلاقهم ونواياهم . وأكثر الناس تمسكاً بالروح العلمية ينزلق إلى مثل هذا التفكير حين يجابه مشكلات الحياة الاجتماعية ، وينساق إلى هذا التفسير


**الكاتب الاذربيجاني الكبير**

**مهدي حسين**

**الحائز على جائزة ستالين**

في احدى رواياته الرائعة

# أبشيرون

رواية تبين سعادة الشعب الاذربيجاني في ظل النظام الاشتراكي ، بعد تحرره من نير القيصرية وعبوديتها .

الرواية التي تبين لنا نضال هذا الشعب الشرقي في سبيل بناء مجتمع جديد ، فاضل ، بعد ان اصبح المالك الحقيقي لجميع مقدراته وخيراته .

اطلبوها من جميع المكتبات في جميع البلاد العربية

**الثمن : ٢٠٠ ق . ل . س .**

**دار الفكر الجديد ـــ بيروت**

**ص. ب : ٣٢٥٤ ـ هاتف : ٢٢٩١٢**

السهل اليسير لفساد الحياة الاجتماعية ، حين ينسب هذا الفساد إلى فساد الافراد . وهكذا يختار حلاً كسولاً ، هو في الواقع فرار من الحل ، بل هو في أعماقه ضرب من تحصيل الحاصل ، وضرب من الدور الفاسد الذي يحدثنا عنه الشاعر بقوله :

مسألة الدور جرت ... بيني وبين من احب
لولا مشيبي مـا جفا ... لولا جفاه لم اشب

إنه في الواقع قول « من لا يريد ان يفلح » اذا اردنا ان نتبنى تعبير الجاحظ .

بل نحن إذا تعمقنا الامور وركبنا المنطق قليلاً استبان لنا **أن الفرد لا وجود له ، وأن الموجود الحقيقي هو «الفرد – في – المجتمع» . والفرد من المجتمع بمثابة الجوهر من الاجسام لا نصل اليه إلا بضرب مـــن التحليل الصنعي والتجريد الفكري. إن هذا الفرد كائن مقذوف في مجتمعه ، مبتل به ، معانق له . إنه فيه كالسمك في الماء او كالطير في الهواء أو كالزهرة في التراب .**

ولا يحملن قولنا هذا على اننا نقول بتلك الفكرة السطحية ، وهي ان الافراد عاجزون عن تغيير مجتمعهم وأن عمل الأفذاذ عمل ننكره .. والذي نريد ان نقوله على العكس هو إيمان بقدرة هؤلاء الافراد والأفذاذ ، ولكن على ان يبدأوا عملهم ، لا مع أنفسهم ومع ذواتهم ، وإنما مع مجتمعهم مباشرة : اي على ان ينطلقوا من فكرة تنظيم هذا المجتمع والتغلب على ما فيه من فوضى وصدفة ولامعقول ، وأن ينسبوا الضعف إلى بنيانه جملة لا إلى بنية كل فرد على حدة ..

***

وبعد ، ليس قصدنا في هذه الكلمة ان نعاود ذلك البحث المجرد في الصلة بـــين الفرد والمجتمع ، وان نقع فيما تقع فيه الابحاث المجردة من نأي عن واقع المشكلات التي تعـنى بها . ولذا آثرنا ان نوضح الفكرة الرائدةالتي قلنا بها،نعني الارتباط العميق بين صحة الفرد وصحة المجتمع ، ببعض الامثلة المستقاة من بعض جوانب الحياة الاجتماعية . ففيها خير بيان لأولوية المجتمع على الفرد وشأن التنظـــيم الاجتماعي العلمي في تمتيع الافراد بكامل قواهم ، وتيسير خير السبل لامكانياتهم،وتفتيح انسانيتهم على اكمل وجوهها ... وقد فضلنا ان تكون هذه الامثلة امثلة غير شائعة كثيراً ، تاركين الامثلة السائرة بين الجمهور .

١

ولنبدأ باحـــاديث العمل والعمال ، ما دامت هـــذه الاحاديث مما تتناقله الالسن في هذه الآونة . ان كلاً منا يعرف أثر الظروف المادية الحسنة في تحسين نتاج هؤلاء العمال في معاملهم . غير ان ما نريد ان نقوله شيء يجاوز أثر هذه الظروف المادية المألوفة . إن ما نريد ان نقوله هو ما وقع في المجتمعات الحديثة من تنظيم للعمل في المعامل تنظيماً يؤدي الى مصلحة العـامل وصاحب العمل في آن واحد . ولعل من المستحسن ان نقدم لحديثنا هذا بنظرة تاريخية تبين نشأة هذا التنظيم الاجتماعي للعمل :

حدثت الثورة الصناعية الكبرى ، واخذ الناس في البلاد الغربية ، كما نعلم ، يهجرون قرام ومزارعها الى المدن ومصانعها . وحدثت مع هـذه الثورة ثورة اخرى تمس قيمة الانسان العـــامل . اذ كان هذا الانسان في بداية هذه الثورة الصناعية الكبري مهملاً مسحوقاً بضخامة الالة . وكان ينظر اليه نظرة تجعل منه الة من الآلات الكثيرة التي تسير المعامل . وكان كل ما يطلب اليه ان يشترك مع هذه الالات واجزائها في تسيير عجلات الانتاج الصناعي وان ينتج اقصى ما يستطيع نتاجه لاصحـــاب رؤوس الاموال ؛ وان لم يفعل يحطم وينتزع كما تنتزع الالات البالية القديمة .

وجاء المهندس الاميركي الشهير « تايلور » ، واراد ان ينظم العمل في المعامل ، فلم يأبه للعنصر الانساني ايضاً ، واغرق في اعتبار الانسان جزءاً من الالة، مجعولا لها، اذ جعل هدفه من هذا التنظيم ان يصل الى كسب الوقت في المعامل والى تحقيق اكبر مردود ممكن بأقل النفقات المادية الممكنة .


دار بيروت - للطباعة والنشر
بناية العازارية ، تلفون [illegible] بيروت لبنان

قصص انسانية

ظهر منها

١ . مولد انسان « مكسيم غوركي » ترجمة بهيج شعبان
٢ . وراء الرغيف اول « « « «
٣ . « « ثاني « « « «
٤ . توماس غورديف اول « « « «
٥ . « « ثاني « « « «
٦ . المساكين « دوستويفسكي » « « «
٧ . اللؤلؤة « شتاينبك » « سهيل ايوب

تطلب في بغداد من السيد محمود حلمي – العراق
« « تونس من السيد محمود خوجه – شمال افريقيا

وتوسل الى هاتين الغايتين بوسائل ثلاث :

اولاً: ان نجعل الآلة ملائمة للعامل بحيث نجنبه كل حركة زائدة لا فائدة منها

ثانياً: أن نفرض على العامل الحركات التي يستبين لنا أنها اكثر الحركات اقتصاداً .

ثالثاً: أن ننظم إيقاع العمل لدى العامل ( سرعته وبطئه ) مستندين الى التوقيت الزمني الذي نحصل عليه لدى أكثر الاشخاص سرعة .

وقد أدت هذه المباديء البسيطة في ظاهرها إلى نتائج هامة ذات بال: إذ كان من نتيجتها طرح العمال الذين لا يصلحون لهذا التنظيم المتفق عليه أو الذين يعجزون عن الاستمرار فيه بسبب « اهترائهم » بعد سنوات طويلة من العمل .

واستمر اللاحقون الذين ساروا على سنة « تايلور » هذه في النظر إلى المسألة من وجهة الاقتصاد والسرعة ،لا من وجهة العامل، وحققوا ما يدعى بالاصطفاء المهني الذي تعنيه مصلحة العمل دون مصلحة العامل .

ولكن هذه النظرة الضيقة ما لبثت حتى أعقبتها نظرة إنسانية فسيحة : إذ ثار بعض علماء النفس خاصة على موقف « تايلور » وأتباعه ، وبينوا ان مسألة العمل لا تطرح طرحاً علمياً ما لم نقم وزناً لقابليات العامل وبنيته وللقوانين الفيزيولوجية والنفسية التي تتحكم في حياة كل فرد وتنظم استجاباته وأوضحوا خاصة هذه الحقيقة الغالية ، وهي ان مثل هذه العناية بالجانب الانساني لا تؤدي الى تحسين حال العامل فقط ، وإنما تؤدي في الوقت نفسه إلى تحسين حال العمل وإلى زيادة النتاج في المعامل كيفاً وكماً، وإلى إنقاص عدد الكوارث التي تقع للعمال في المعامل . وبهذا نربح من مثل هذا التنظيم العلمي ربحاً مزدوجاً : نربح زيادة في المردود واقتصاداً في النفقات، كما نربح ازدهاراً في شخصية العامل واحتراماً لانسانيته .

واليك بعض الحقائق التي توضح هذه النتيجة التي وصلوا اليها :

لقد درس هؤلاء العلماء أثر الشروط الجوية ، من حرارة ، ورطوبة وتهوية ونور ، على نتاج العمال ، فبين « بيدفورد Bedford » مثلا ، في دراسته للعمل في مناجم الفحم في بريطانيا ، أن نسبة النتاج في هذه المناجم ترتفع من ١٧ ٪ في درجة حرارة قدرها ٤٢ درجة الى ٥٩ ٪ في درجة حرارة قدرها ٢٨ . ومثل هذا التحسن في النتاج حصل عليه علماء آخرون في شروط من التهوية والرطوبة والنور جيدة .

ودرسوا كذلك أثر لون المصنع والآلات في عمل العامل ، فاستبان لهم ان العناية بالألوان ودراستها دراسة صميمة وجعلها ملائمة لكل نوع من انواع العمل ولكل جزء من أجزاء الآلة ، يؤدي إلى زيادة في النتاج تبلغ نسبتها ١٠ ٪ إلى ٢٠ ٪ (على نحو مادلت عليه دراسة هذا الموضوع في معامل « فورد » خاصة ) .

وتحققوا كذلك من أثر الموسيقى في زيادة المردود وتحسينه ، بسبب ما تؤدي اليه من حذف للملل وبعث للنشاط ، فوجدوا أن هذه الموسيقى قد تزيد المردود بنسبة ٦ ٪ إلى ١١ ٪ .

وأقوم من هذا كله عنايتهم بدراسة قابليات العمال واستعداداتهم وتوجيه كل واحد منهم نحو العمل الذي يلائم استعداداته ويساير قابلياته . إذ بينت هذه العناية خير بيان أن توجيه العمال شطر الأعمال والمهن التي هم لها أهيأ ، يؤدي الى تفتح شخصيتهم أولاً حين تحقق ما خلقت له ، كما يؤدي إلى زيادة في نتاجهم كماً وكيفاً ، وإلى إقلال عدد الكوارث التي يقعون فيها كما بينت في مقابل ذلك أن اهمال هذا التوجيه ، وجعل اختيار المهنة بالتالي موكولاً للصدفة ، يقودان العامل الى حياة يائسة يقوم فيها بعمله قيامه بسخرة شاقة . ويتضاءل ضمنها شعوره بوجوده وثقته بنفسه ، هذا بالاضافة إلى ما ينجم عن ذلك من نقص في نتاجه وزيادة في الكوارث التي يمنى بها هو وتمنى بها الآلات التي يشتغل عليها .

ذلك أن كل إنسان « ميسر لما خلق له » وأن أقتل شيء للمرء ان يسير في غير الطريق التي خلق لها ، وأن يغالب طبعه واستعداده : وما غالب امرؤ طبعه وقابلياته إلا غلب .

وهكذا نرى من كل ما ذكرناه ان التنظيم الاجتماعي لظاهرة جوهرية كظاهرة العمل يؤدي فعلاً الى صون صحة العامل كفرد، والى تفتيحه خير تفتيح، والى استخراج إمكانياته والدفين من قواه . كما يؤدي في الوقت نفسه الى زيادة انتاج المعامل وتوفير ربح أضخم لاصحاب العمل . وواضح ما ينجم عن مثل هذا التنظيم من فوائد قومية كبرى : انه يصون قوى الافراد اولاً من الضياع ويحميها من الاختناق ويجعلها مزهرة الأكمام تجود بما عندها في سخاء وحبور . وهل من هدف قومي اسمى من الافادة من كامل طاقات الافراد، ومن اسعادهم عن طريق شعورهم بوجودهم المتفتح وعن طريق استخدامهم لقوى الابداع الكامنة فيهم ؟ ثم ان هذا التنظيم ثانياً يزيد من الثروة القومية ، كما رأينا ، حين يزيد في نتاج المعامل وحين يجعل كل شيء ينصرف منصرفه الطبيعي، دون ما هدر للقوى وتبذير للنشاط .

ومن هنا تستبين لنا فكرة ننساها غالباً : وهي ان التنظيم الاجتماعي العلمي هو دوماً في مصلحة الجميع . وأكبر وهم يقع فيه فريق من الناس ان يخيل اليهم ان العناية بأمور العمل وتنظيمها، أو بأي جانب من جوانب التنسيق الاجتماعي، تؤدي الى فائدة فريق على حساب فريق آخر. ففي كل تنظيم زيادة جديدة، وإعادة النظر في تنسيق اي مجال من المجالات لا تؤدي الى مجرد تغيير في ترتيب اجزائه ، وانما تؤدي الى اغتناء هذه الاجزاء بقوة جديدة ... وهذه القوة الجديدة الفائضة تفيد من سائر اجزاء المجال المنتظم ، لا جانب واحد منه .

**عبدالله عبد الدائم**

**— التتمة على الصفحة ٤٩ —**

# صحة الفرد وصحة المجتمع

– تتمة المنشور على الصفحة ٧ –

٢

ولندع العمل والعامل ، ولننتقل الى المدرسة والطالب نجد في هذا الميدان الثاني ما وجدناه في الميدان الاول . ولن نعود هنا الى تلك الآراء المزجاة التي تبين قيمة التنظيم العملي للعمل المدرسي تنظيماً يقيم وزناً لميول الطالب واستعداداته الجسدية والنفسية وجو المدرسة المادي والمعنوي. فمن الامور التي لا يجهلها إنسانُ اليوم أن مثل هذه العناية بالشروط النفسية والجسدية والمادية التي يعيش ضمنها الطالب ذات أثر فعّال في حسن عمله المدرسي وتفتيق قواه . ولهذا نكتفي بالاشارة إلى مسألة موازية للمسألة التي طرقناها منذ حين ، خلال حديثنا عن العمل والعمال ، نعني بها مشكلة توجيه الطلاب شطر الدراسات التي تؤهلهم لها استعداداتهم وقابلياتهم. إذ تبين الأبحاث الحديثة أن تهيئة الشروط النفسية والجسدية والمادية الحسنة لا تكفي وحدها ، وأن أهم أنواع التنظيم العلمي للعمل المدرسي أن تختبر قابليات كل طالب ، وأن يساق بعد ذلك نحو فروع الدراسة التي هو أهل لها . فلا يوجه إلى دراسة الرياضيات مثلاً إلا من انجلى استعداده لها بالطرق العلمية ؛ ولا يوجه الى دراسة الآداب إلا من كشفت الاختبارات والطرق الخاصة عن قابليته لهذه الدراسة ، إلى غير ما هنالك من فروع .

ولهذا تحاول بعض الدول الحديثة اليوم أن تنظم التعليم الثانوي تنظيماً يحقق هذه الغاية ، أي يساعد على الكشف عن قابليات الأشخاص وييسرلهم اختيار فروع الدراسة المهيئين لها . ومن أشهر هذه المحاولات الحديثة محاولة فرنسا منذ عام ١٩٤٥ وإنشاء ما يدعى باسم الصفوف الجديدة في التعليم الثانوي، وتبنيها المشروع الشهير الذي عرف باسم مشروع «لانجفان – فالون Langevin - Vallon ». وقد حاولنا في سوريا أن نحقق بعض أغراض هذا التنظيم الجديد القائم على أساس دراسة القابليات ، حين كلفتنا وزارة المعارف مع بعض المختصين بوضع مشروع لاصلاح التعليم الثانوي والمهني . ولكن مشروعنا لا يزال مهملاً حتى الآن ، ولن يبعثه من عالم الاهمال إلا إيمان منا جميعاً بقيمة هذه الفكرة التي جعلناها موضوع كلمتنا هذه ، فكرة التنظيم الاجتماعي العلمي وما تحمل في ثناياها من معجزات .. فالذي يصطدم به كل مجدد ، حين يحاول أن يدخل بعض صور الحياة العلمية الحديثة في نظمنا القائمة ، ذلك الخوف العميق من كل جديد ، وهو خوف لا يفسر إلا بعدم تغلغل معنى التنظيم العلمي في نفوسنا . فالعلم ، كما ذكرنا ، يمحو الخوف من المجهول ، إذ لا مجهول فيه .. ولا يكمن الخوف إلا حيث ينعدم التصور العلمي الواضح .

وهنا ايضاً ، في مجال المدرسة والطالب ، نجني الفوائد القومية الجمة من وراء تنظيم العمل المدرسي تنظيماً علمياً مستنداً الى دراسة القابليات خاصة. فنحن بذلك ندل الفرد على موطن الخصب فيه ونشق له الطريق التي هي طريقه حقاً، ونقصيه عن المحاولات الفاشلة وعن سلوك سبيل في التعليم لا يلقى فيها الا الفشل والاخفاق ، ولا يلقى فيها مجتمعه الا العقم . وبدهي ان اشتغال المرء بما خُلق له يؤدي الى جانب نجاحه في اختصاصه الى تفاؤل تجاه الحياة والعالم ، والى نظرة فرحة مبدعة . بينما يؤدي اشتغاله بغير ما هو مهيأ له الى تشاؤم من الحياة ، وحقد على الناس والاشياء ، ونظرة سوداء قاتمة ، وكثيراً ما يؤدي الى عقد وامراض نفسية وجسدية ، واضطرابات في السلوك والخلق. وليس ثمة قلق اعقم واقتل للنفس من قلق الفرد الذي ضل سبيله في الحياة وسار في عكس اتجاهاته واستعداداته. انه لن يكون راضياً عن نفسه في حال من الاحوال ، وعدم رضاه عن نفسه لا بد ان ينقلب حقداً على الآخرين وكراهية لهم . ذلك ان محبة الآخرين ، كما يقول احدهم ، هي امارة الرضا عن الذات .

ويزيد في خطورة هذه المسألة ان القابليات في بداية عهدها غضة طرية معروضة للضمور في كثير من الاحيان ، إن لم نسعدها بتوجيه لها وتفتيح . بل ان الابحاث الاميركية الحديثة اثبتت ان العبقرية نفسها في حاجة الى حماية وتعهد ورعاية . فاذا كان هذا شأن العبقرية – وهي التي تعرف ان تبزغ وتطل رغم العقبات ، بل لسبب العقبات في كثير من الاحيان – فما شأن القابليات العادية اذن ؟

٣

وما دمنا قد عرضنا لكفاءات الافراد وقابلياتهم ولما ينشأ عن اهمال هذه الكفاءات من اضطرابات نفسية وجسدية ، لننتقل الى ميدان وثيق الصلة بهذا كله ، نعني به ميدان الاشخاص الشاذين والمرضى ... ان هؤلاء ايضاً ، بل هؤلاء خاصة ، يفيدون اكبر الفائدة من التنظيم العلمي لحياتهم. وكلنا يعرف ان قسماً كبيراً من الناس لا يصل الى الحال السوية التي يصل اليها الناس عادة ، ولا يكمل نموّه وطريقه في الحياة بل يتوقف عن الاكتمال وتمام النضج ، فيصيب انواعاً من

الانحراف الجنسي ، قد تتجلى في شكل مرض عميق .

ولنضرب بعض الامثلة عن الشذوذ ، لنبيّن عن طريقها كيف تلعب العناية بحالات الشذوذ هذه دوراً هاماً في صحة الفرد، وكيف يؤدي التنظيم الاجتماعي العلمي مهمته هنا ايضاً :

إن من أصول الشذوذ، الشذوذالجسدي الذي نجده لدى أشخاص مصابين بعاهات حركية أو حسية أو نطقية. ومن أنواعه الشذوذ النفسي الذي نجده لدى اشخاص مصابين باضطراب في نموهم العقلي أو في طباعهم. ومن أنواعه الشذوذ الاجتماعي الذي نجده لدى أشخاص يرجع اضطرابهم إلى ظروف أسرية سيئة موبوءة . وهذه الحالات كلها حالات قابلة للشفاء والتقويم ، إن نحن تعهدناها بالرعاية وأجرينا عليها الطرق التربوية الملائمة لها . ولنبين ذلك بالحديث حديثاً موجزاً عن الشذوذ الاجتماعي :

إن هذا الشذوذ يرجع إلى بنية المجتمع العائلي : إذ نجده لدى الأطفال المهجورين واليتامى وفي البيئات المتفككة رسمياً ( بسبب الطلاق ، أو ابتعاد الأب عن المنزل لسبب من الأسباب ) ، وفي البيئات المتفككة بشكل غير رسمي ( كما في احوال التفاهم العائلي ووقوع بعض الأمراض التي تستلزم إقامة أحد أفراد الأسرة في مستشفى او في ملجأ للعجزة أو مصح ، وفي حال اشتغال الأم في خارج البيئة المنزلية ) ؛ كما نجد هذا الشذوذ أيضاً في البيئات المنزلية ذات الاوضاع الخاصة : كأن يكون الطفل وحيداً، أوأن يكون واحداً من أبناء كثيرين جداً ، أو ابناً لأبوين طاعنين في السن أو لأبوين ينتمي كل منهما إلى عرق أو قومية أو ديانة أو طبقة اجتماعية. ونلقى هذا الشذوذ أيضاً لدى الأشخاص الذين عاشوا في بيئة منزلية تعوزها التربية الصحيحة : كأن تكون تربيتهم مفرطة في اللين أو مفرطة في القسوة، أو أن تكون أمهاتهم مثلاً ممن يمتهن الدعارة ، أو ان يكون آباؤهم ممن يدمنون على تعاطي الكحول.. ووقوع الشذوذ في مثل هذه الحالات جميعها يبين خير بيان كيف أن تفاديه يتم عن طريق تفادي مثل هذه البيئات الاجتماعية المضطربة ، أي عن طريق عناية اجتماعية دقيقة . كما أن القضاء عليه بعد وقوعه ممكن وسهل إذا ُيسرت السبل الحديثة في التقويم والعلاج.

والأمثلة كثيرة على حالات الشذوذ هذه ، وعلى ما يستطيع المجتمع أن يفعله فيها . والأمثلة أكثر أيضاً على الحالات المرضية ، تلك الحالات التي لا يتسع المجال للحديث عنها . وحسبنا إن أردنا بيان ما للتنظيم الاجتماعي من أثر كبير في تجنيب الأفراد مثل هذه الحالات المرضية وفي تخليصهم منها إن وقعوا فيها ، أن نذكر لمحة عابرة عن نزعة طبية نفسية حديثة تعرف باسم « الطب النفسي الجسدي Médecine Psycho - Somatique » :

إن الذي يعنينا في هذه النزعة الحديثة أنها ترد كثيراً من الأمراض الجسدية الى اسباب نفسية اجتماعية ، وأنها ترى علاجها عن طريق وسائل نفسية واجتماعية أيضاً .. وفي هذا مجاوزة لأحدث النزعات قبلها ، نعني النزعة القائلة بأن للأمراض النفسية اسباباً نفسية. فهي تفسر منشأ كثير من الامراض الجسدية الكبرى بأسباب نفسية عاطفية واجتماعية : فتفسر بهذه الأسباب قرحة المعدة وأكثر اضطرابات جهاز الهضم ، والضغط الشراييني والربو واضطرابات القلب وكثيراً من انواع الصداع. بل تفسر بها بعض الأمراض الجلدية نفسها ، ومرض السكر ، واضطرابات المفاصل والعضلات والعظام، واضطرابات جهاز التناسل .. وهي في تفسيرها هذا تقيم وزناً كبيراً لبعض العوامل الاجتماعية التي تلعب دورها في هذه الأمراض جميعها ، ولأثر بعض المهن ، وبعض مساوىء التنظيم المهني ، ولأثر جو المنزل وغيره من الاجواء الاجتماعية. وبهذا تبين لنا خير بيان كيف أن عوامل التنظيم الاجتماعي تمتد جذورها إلى أعمق أعماق حياة الفرد، وتلعب دوراً هاماً في أمور يخيل الينا للوهلة الأولى انها في منأى عن التأثر بهذه العوامل الاجتماعية . أفلا يعني هذا إذن أن الفرد كما قلنا مبتلّ بماء المجتمع، يتلقى منه في كثير من الأحيان الصحة أو المرض ، الحيـاة او الموت ، الشذوذ او الاتزان ، التفتح أو الانطفاء ؟ افلا يعني هذا حقاً أن صحة الفرد ، بالمعنى الواسع والضيق لهذه الكلمة ، هي وليدة صحة المجتمع ؟ أو ليس واجب المجتمع أن يحبس أفراده ضمن تنظيم سليم من شأنه أن يجنبهم كثيراً من المهالك ؟

٤

وأخيراً يتجلى لنا أثر هذا التنظيم الاجتماعي جلياً في امر قلما ننتبه إليه ، هو أخلاق الافراد . فمقارنة بسيطة نقوم بها بين أخلاق الغربيين وأخلاقنا مثلاً ، ترينا أن أخلاق الغرب وليدة تنظيم الأمور عندهم تنظيماً لا يدع مجالاً كبيراً لعدم التخلق . فأكثر الاشياء في كيانهم ينفع فيها الصدق والنزاهة. والربح المادي نفسه يهيأ هنالك للتاجر الدقيق في معاملته ، والموظف المخلص في عمله . فكأن التنظيم الاجتماعي عندهم قوة تعلو فوق الافراد فتحبسهم ضمن سلوك صحيح سليم لا يكون لهم نجاح بدونه . بينما نجد الاخلاق في بلادنا مخنوقة بالنظام الاجتماعي الفاسد الذي يدعو الى عدم التخلق بحكم بنيته وتكوينه والذي يجر الافراد إلى سلوك منحرف يصعب التخلص منه غالباً ، لان كل شيء في دولاب الحياة الاجتماعية يجأر به وينادي باتباعه . ولهذا نجد القابض على خلقه في مثل هذا المجتمع النخر كالقابض على الجمر . ومن العبث في مثل هذه الحال أن نطالب الافراد بالتخلق والصلاح ، ما لم نجعل نظام الحياة الاجتماعية نفسه مؤيداً لهذا التخلق وذلك الصلاح. وخيرٌ الف مرة ان نقيم قواعد ونظماً ومؤسسات اجتماعية صادقة من ان ندعو الناس الى الخلق دعوة خاوية ومن أن نملأ الدنيا مواعظ . ولا يعوز العربي في الواقع الشعور بالقيم الخلقية واهتزازه لمعاني السلوك الرفيع . ولا أدل على ذلك من ان التضحية والأريحية والبذل والصدق تطل لديه من بين كوى الفساد جميعها وتشمخ بأنفها رغم كل شيء ، وتقاوم في كثير من الاحيان جميع مغريات المجتمع الفاسد. والذي يعوز هذه المعاني الخلقية الأصيلة في نفسه هو وضعها ضمن جو اجتماعي يساعد على ترعرعها ، لا ضمن جو اجتماعي كل ما فيه يكرهها على الصمت او الانحراف . أفلا يفوق الدعوة إلى الاحسان مثلاً أن نقيم مؤسسات للخدمة الاجتماعية ، وأن نؤمن لكل فريق من العاملين في المجتمع ضماناً ضد عجزهم

وشيخوختهم ومرضهم ؟ أفلا نرى اليوم في المجتمعات الحديثة ان روح الخلق العربي قد احتلت مكانها منظمة فعالة في تلك المؤسسات والاصلاحات الاجتماعية وأنواع الضمان الاجتماعي؟ أو لا نحتاج قبل كل شيء إلى ان نهب لهذه الروح الخلقية كياناً وبنياناً وتصرفاً منظماً ، بدلاً من ان نبقيها أبخرة متصاعدة لا تلبث حتى تنقلب إلى فراغ؟ ان من الخلف ان نطلب الى الناس فوق ما يستطيعون ؛ وان من التناقض ان نطلب اليهم في النهار ما تمحوه تنظيماتنا في الليل . ان الخلق ، كالعبقرية و ككل قيمة انسانية راقية ، في حاجة الى صون وحماية .. وسبيل حمايته أن يوضع في إطار اجتماعي يجعله ينساب سهواً رهواً ويبعد عنه فتك الآفات .

***

ولا أدل على اثر البنيان الاجتماعي في سلامة سلوك الافراد واستقامة حياتهم الخلقية من النتائج التي انتهت اليها البحوث الاجتماعية حول ظاهرة خلقية شاذة ، هي ظاهرة الانتحار ، تتراءى للوهلة الاولى بعيدة عن أثر المجتمع خاضعة لهوى الأفراد . إن هذه الظاهرة ، كما خيّل ويخيل إلى كثيرين ممن لم يدركوا الصلة بين سلامة الفرد وسلامة البنية الاجتماعية التي ينتسب اليها . قد ترى ظاهرة فردية محضة تنبتها وسوسات الفرد وأوهامه ويخلقها خوره النفسي. غير أن الأبحاث الاجتماعية، لاسيما أبحاث « دوركهايم Durkheim » في كتابه عن الانتحار قد بينت خير بيان أثر الحياة الاجتماعية في شل هذا السلوك . فلقد اعتمد « دوركهايم » على إحصاءات عن الانتحار وتوزعه تمت في مختلف البلدان الأوروبية بين عام ١٨٤٠ وعام ١٨٩٠ ، فاستبان له ان الاسباب الظاهرة التي تدعو الافراد إلى الانتحار ، من مثل الحب والغيرة والادمان على الخمور وخوف الفضيحة والمرض الجسمي والعقلي وكراهية الحياة في الشيخوخة وغير تلك من الاسباب ، ليست إلا مناسبات للانتحار وأبواباً للخروج من الحياة ، ولا تفسر أبداً الاسباب العميقة للانتحار . فتلك الاسباب العميقة يجهلها المنتحرون غالباً ، لأنها خارجة عن نفوسهم ، ثاوية في المحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه . وهي واحدة لدى جميع المنتحرين في فترة زمنية معينة ، وإن كانت تتحقق بطرق فردية تختلف من شخص إلى شخص . فما هي هذه الأسباب الاجتماعية العميقة ؟ إنها ترجع، كما بينت دراسات « دوركهايم » ، إلى أزمة اقتصادية ، أو الى قيام حرب معينة ، أو إلى أزمة دينية او سياسية ، أو إلى أزمة أسرية ، أو غير تلك من العوامل المتصلة بالوضع الاجتماعي العام . وهذه الاسباب هي التي تفسر في نظر دوركهايم انتشار الانتحار على شكل « موجات » بل « مودات» في مجتمع معين خلال زمن معين. وتبين هذه الحقيقة الجداول الاحصائية التي توضح توزع الانتحار في فرنسا وبروسيا وإنجلترا وساكس وبافاريا والدانمارك بين عام ١٨٤١ وعام ١٨٧٢ . إذ تفصح هذه الجداول عن وجود موجات عامة للانتحار تطغى وتنتشر في بعض السنين. وهذه الموجات مسببة عن عوامل اجتماعية : ففي سنة ١٨٦٠ مثلاً زادت نسبة المنتحرين في فرنسا بسبب بلوغ الحكم الامبراطوري منتهى استبداده ، وفي عام ١٨٦٨ حدث مثل ذلك في إنكلترا بسبب تقدم التجارة تقدماً كبيراً ( ذلك أن دوركهايم يميز بين نوعين من الأزمة يزداد في كليهما عدد المنتحرين : أزمة


صدر حديثاً

# كتاب الثورات

## للاستاذ سلامة موسى

الثمن ليرتان — دار العلم للملايين


تسود فيها الفاقة وأزمة يسود فيها الرخاء المفرط). ومثل هذا يقال في زيادة الانتحار في أوروبا كلها حوالى عام ١٨٧٠ بسبب قيام حرب السبعين .

بل يذهب دوركهايم في تفسيره الاجتماعي للانتحار إلى أبعد من هذا : فيرى أن مجموع العادات والأعراف والتقاليد التي تسود في مجتمع من المجتمعات ، لها اثرها الكبير في تيسير الانتحار أو مقاومته. حتى أنه حاول أن يحدد قابلية كل أمة لهذه الظاهرة الاجتماعية والأخلاقية عن طريق الاحصاءات أيضاً ومقارنتها بعضها ببعض ، فوجد مثلا أن أهل الشمال في أوروبا اهيأ للانتحار من أهل الجنوب ، ووجد بشكل عام ان ثمة قانوناً يتحكم في هذه الظاهرة قوامه أن الانتحار يتناسب تناسباً عكسياً مع درجة التكامل في الهيئة الدينية، ومع درجة التماسك في الهيئة الأسرية ، ومع درجة التوحد في الهيئة السياسية الوطنية . ويريد بذلك أنه كلما قوي بنيان هذه الهيئات الثلاث واشتد سلطانها على الأفراد الذين ينتمون إليها قل عدد المنتحرين . بينما يزداد عدد المنتحرين إذا ضعف كيانها ووهن سلطانها واضمحل نفوذها وتحرر الافراد من رقابتها وانهار الشعور الاجتماعي في نفوسهم .

ان هذه الدراسة وامثالها ان كانت تدل على شيء فهي تدل على شأن البنية الاجتماعية وسلامتها في سلامة الافراد وصحتهم الخلقية . انها تؤكد من جديد تلك الصلة الوثيقة بين صحة الفرد وصحة المجتمع . ولولا خوف الاطالة لاتينا بالامثلة الكثيرة التي تبين اثر البنية الاجتماعية في انتشار الجرائم عامة وتقلصها ولذكرنا تلك الحقيقة : وهي ان في كل مجتمع ما يستحقه من المجرمين، ولاوردنا بعض الحقائق التي تثبت ان هنالك بعض الامراض العصابية névroses الأسرية والاجتماعية، كما بيّنت ابحاث « أوير Heuyer » بشكل خاص ، ولأشرنا الى الشخصية السيكوباتية وما يكمن وراء مثل هذه الشخصية المريضة من اسباب اجتماعية عميقة. أفلا تصرخ جرائم الاحداث خاصة مؤكدة هذه الحقيقة التي نقف عندها ؟

***

ونود قبل خاتمة المطاف ان نعقد مقارنة بسيطة بين هذا الموقف الذي اشرنا اليه ووكدناه ، موقف من يؤمن بما للتنظيم الاجتماعي من أثر غالب في سلوك الافراد وحياتهم ،

وبين الموقف الآخر المناوىء له ، والذي لا يعـــدم انصاراً واتباعـاً ، موقف من يريد ان تكون نقطـة البداية الفرد لا المجتمع .

كلنا يعلم من هو مالتوس Mlathus ، ذلك الراهب الانكليزي المولود عام ١٧٦٦ والمتوفى عام ١٨٣٤ ، وكلنا يسمع بقانونه الشهير الذي أوضحه في كتابه «بحث في أصول السكان «Essay on the principle of population الذي ظهرت أولى طبعاته عام ١٧٩٨ . إن مجمل هذا القانون ، كما نعلم ، أن تزايد السكان يجري وفق متوالية هندسية ، بينما يتم تزايد موارد المعيشة وفق متوالية حسابية . ومعنى ذلك ان تزايد السكان أسرع بكثير من تزايد موارد المعيشة اللازمة لهم . فهؤلاء يتضـاعفون كل ربع قرن إن لم يعق زيادتهم عائق ، بينما لا تنمو موارد معيشتهم إلا بمقـدار ضئيل . وهكذا تصبح زيادة السكان بعد قرنين ، إن استمرت دون عائق ، بالقيـاس إلى زيادة القوت كنسبة ٢٥٦ إلى ٩ ، وتصبح بعد ثلاثة قرون كنسبة ٤٠٩٦ إلى ١٣ . ومعنى هذا كله في نظر الراهب « مالتوس » أن من الواجب الحد من زيادة النسل ، وأن معالجة البؤس والفاقة لا يكون عن طريق الاحسان والخدمـات الاجتماعية ، وإنمـا يكون بوقف تكاثر السكان واكتظاظهم . ولهذا ينصح بأن تمنع الدولة كل مساعدة عامة قانونية للبؤساء والمساكين ، جزاء لهم على تفريطهم ، لانهم خرجوا على القوانين الطبيعية وأتوا بأولاد لا يملكون القدرة على إعالتهم وتربيتهم !

وقد كثر اتباع « مالتوس » حوالى عام ١٨٧٧ ولقيت آراؤه تأييداً كبيراً وانبثقت عنه مدرسة فكرية تنشر آراءه وتجذها بمختلف وسائل الدعاوة والنشر . وتزعم هذه المدرسة « شارل برادلو Charles Bradlaugh » والسيدة « آني بيزانت Anny Besant » فطبعا عام ١٨٧٨ نشرة عنوانها « ثمرات فلسفة » كانت لها ضجة كبيرة في إنكلترا . كما نشرت السيدة «آني بيزانت » وحدها كتاباً بعنوان « قانون السكان » دعمت فيه آراء مالتوس ووزعت منه حوالي مائتي الف نسخة . وتكونت على اثر ذلك رابطة أنصار مالتوس التي يتزعمها الدكتور « درايسدال Drysdale » والتي أصـدرت مجلة باسم « المالتوسي » .

وهذه النزعة مثال واضح جداً عن نهج في التفكير يعاكس النهج الذي وكدته هذه الكلمة . إذ يرى « مالتوس » وأتباعه أن العلة لا تكمن في تنظيم المجتمع ، وإنما تكمن في حادثة فردية يُسأل عنها الأفراد هي الاكثار من النسل . ولهذا لا يرى أن وسائل التنظيم الاجتماعي كلها ، من إحسان وفضيلة وقوانين وغيرها ، قادرة على إصلاح ما يفسده الأفراد حين يقذفون بالنسل دون ما تساؤل . ولذلك لقيت آراؤه تأييد طبقة المحافظين خاصة في إنكلترا ، وشمل هذا التأييد كلتا فرقتيهم : الوغز Whigs والتوريز Toris بينما لقيت مقـاومة عنيفة من الفريق الآخر ، فريق الذين يجعلون العلة في النظام الاجتماعي لا في السلوك الفردي ، وعلى رأس هذا الفريق «غودوين Godwin » الاشتراكي . ذلك أن آراء مالتوس قـد رفعت المسئولية عن الطبقات الحاكمة والقت بمسئولية البؤس والفاقة على كاهل الفقراء انفسهم لعدم تبصرهم وعدم تقدير مصيرهم . الأمر الذي أدى الى موقف غريب وقفتـه الطبقة المحافظة في إنكلترا ، إذ أصبح كل فرد من أفرادها يعتقد بشرعية ما يملك ولا يشعر بأي تأنيب للضمير إذا وقف موقفاً انانياً ولم يعطف على الفقراء ولم يعن بما في المجتمع من امراض اجتماعية .

وقد تبنى هذا الموقف ، مع مزيد الأسف ، بعض الباحثين في بلادنا العربية اليوم ، فأرادوا أن يرجعوا علة فسادنـا الاجتماعي وبؤسنا إلى عامل السكان ، وقالوا بضرورة تحديد النسل ، ولم يدركوا ان المسألة في بلداننا العربية مسألة تنظيم للثروة واستصلاح للاراضي وموارد المعيشة ، قبل ان تكون مسألة فيض في السكان .

وهكذا تبين لنا هذه المقارنة السريعة التي عقدناها الفرق الشاسع بين خصوبة موقف يرى ان البدء ينبغي ان يكون من المجتمع ومن تنظيمه ، وبين جـدب موقف آخر يرى ان المسؤول هو الفرد ، وان التنظيم الاجتماعي لا يجدي فتيلاً . ولعلنا ندرك من ورائها ما ذكرناه منذ بداية كلمتنـا حين قلنا ان هذا الموقف الذي نلحف فيه ليس تقريراً لرأي مكرور وانما هو **دفاع عن موقف يحمل في ثناياه طاقات هائلة ، وتبشير بحال نفسية وعقلية ان سادت سادت فيها الروح العلمية في معالجة الامور وتخلصنا من اوهام كثيرة في معالجة مشكلاتنا . انه موقف محمل بخصب التنظيم وما يحمله التنظيم من معجزات .**

***

وبعد ، هذا قليل من كثير ، أتينا به على سبيـل المثال فقط لنبيّن ان الفرد يرتضع افاويق تنظيمه الاجتماعي ، وان نقطة البـداية في كل دعـوة الى رفع مستوى الفرد ان نحسن صياغة الدرع الاجـتماعي الذي يلفه ويحيط به ، وان نجعـل جلباب الحياة الاجتماعية جلباباً مفصلاً تفصيلا علمياً فياضاً بالصحة والعافية .

ان مصير الكائن الانساني مصير يجعل منه موجوداً ملقى في هذا العالم دون ما عون او سند سوى الصوى التي يضعها المجتمع في طريقه والعمد التي يقيمها متكأ له . فاذا تداعت تلك الصوى وانهارت تلك العمد وجد الانسان نفسه وجهـاً لوجه امام القلق والحيرة والاجرام . وعناصر الخير الثاوية في الانسان لا ترقص وتطرب الا عندما يهزها نغم اجتماعي متسق وتشجيها مرابع اجتماعية غرست غرساً علمياً . وهكذا يدعونا الواجب الى ان نخرج من تلك الحلقـة المفرغة التي ندور وندور فيها ، حلقة الفرد والمجتمع ، وان نجعل نقطة بدايتنا المجتمع قبل الفرد ، او بتعبير ادق تنظيم الفرد من خلال تنظيم المجتمع .

دمشق

**عبد الله عبد الدائم**